الإنسان في الدنيا

الشيخ حسن بدران

الكلمات المفتاحيّة: حسن بدران، الدنيا، الإنسان، الحيوان، الشريعة، الحسن والقبح، محمّد حسين الطباطبائي، الطبيعة التكوينيّة، الإدراك، مرتضى مطهّري، الأنا.

الدار دار العمل

ما يتميّز به عالم الدنيا هو أنّه دار العمل. فأعمال الطبيعة المادّيّة تتميّز عن أعمال الطبيعة النباتيّة أو الحيوانيّة. والأعمال التي تصدر عن الإنسان تتميّز أيضًا عن أعمال الحيوانات. ويتميّز العمل الإنسانيّ بأنّه ينبع من عاطفة المحبّة التي تتجاوز الميول والرغبات الفرديّة إلى إيصال الخير للآخرين. كما أنّه ينبع من قوّة الضمير والوجدان التي تلهم الإنسان ما يجب عليه فعله أو تركه، فيتجاوز الإنسان في أفعاله متطلّبات الطبيعة من أكل وشرب، إلى متطلّبات من نوع أرقى تتعلّق بالضمير والوجدان. كما يتميّز العمل الإنسانيّ بأنّه ينبع من حسّ الجمال؛ فالإنسان يلتذّ بفعل الأشياء الجميلة، كذكر الله ومكارم الأخلاق، وينفر من الأشياء القبيحة كالكذب والغيبة والخيانة. ولا شكّ أنّ العمل الإنسانيّ مسبوق بالفكر والإرادة، أي بالحكمة في بُعديها النظريّ والعمليّ.

والحكمة النظريّة تعني الأفكار الحقيقيّة التي هي الصورة الواقعيّة للأشياء (الوجودات). والحكمة العمليّة تعني الأفكار الاعتباريّة (الوجوبات). فالأفكار الاعتباريّة هي مجموعة الأوامر والنواهي التي نسمّيها الشريعة والتي تبيّن للإنسان ضوابط العبادات والمعاملات والأحكام، والتي ترتبط بالقيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، والتي من شأنها، لو اتُّبعت، أن تنظّم حياة الإنسان الفرديّة والاجتماعيّة بما يكفل له سعادة الدارين.

والشريعة تتضمّن اعتبارات من قبيل الملكيّة، والزوجيّة، والميراث، ولا بدّ من التزام الشريعة في سبيل تحصيل السعادة الحقيقيّة في دار القرار؛ حيث لا ملك إلّا لله تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ}[1]، {فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ}[2]. فالدار الآخرة تقوم على الحقائق لا على الاعتبارات. والوصول إلى الحقيقة متوقّف على اتّباع الشريعة. والأوامر والنواهي تبيّن لنا ما يجب اتّباعه وما يجب اجتنابه، وما يجب اتّباعه هو حسن، وما يجب اجتنابه هو قبيح. وبنظر السيّد الطباطبائيّ الحسن والقبح ليسا صفتين عينيّتين ذاتيّتين في الأشياء وإنّما هما ناشئان من الوجوبات الاعتباريّة، فالحسن والقبح هما الرابطة بين الإنسان والأشياء.

---

[1] سورة **الحجّ**، الآية 56.

[2] سورة **المؤمنون**، الآية 101.

مدخليّة الأفكار الاعتباريّة في عمل الإنسان

للذهن قدرة على التقاط أفكار عن الأشياء الخارجيّة، وتسمّى أفكارًا حقيقيّة لأنّها واقعيّة وليست من اختراع الذهن، ومع ذلك يمكن للذهن تطبيقها على واقع آخر. فمنشأ الاعتبار هو فكرة حقيقيّة يقوم العقل بتعميمها وتطبيقها على غير موردها، فالعقل لا يخلق المفهوم الاعتباريّ دفعة واحدة، بل هو يقوم بحفظ مفهوم في صورة حقيقيّة يعتبره مجازًا لشيء آخر. فحين يُقال أنّ الدنيا دار عمل، فهذا يعني أنّ العمل في الدنيا يقع بالتدريج، بخلاف عالم الأمر الذي هو عالم "كن فيكون". فالعمل في عالم الطبيعة تدريجيّ، ذلك أنّ الطبيعة –كما يبيّن الشهيد مطهّري– تتجهّز بوسائل تعينها على التحرّك إلى مقصدها.

فالحيوان يستعين بجهازين لبلوغ ما يريد، هما جهاز "الطبيعة التكوينيّة" وجهازه الشعوريّ والإدراكيّ. فالحيوان يلتذّ بالطعام والطبيعة تحقّق مبتغاها. أمّا الإنسان فهو يتحرّك بجهازين هما الطبيعة والفكر والإرادة. ويعمل جهاز الفكر والإرادة على تحقيق ما يصبو إليه جهاز الطبيعة. والعمل الصادر عن الإنسان له مقدّمات، وهي كما صوّرها القدماء؛ تصوّر الفعل الاختياريّ، ثمّ التصديق بفائدته، والرغبة فيه، ثمّ الجزم، والعزم، فتحصل الإرادة، وبعدئذٍ يحدث الفعل الاختياريّ. وكلّ فعل اختياريّ يتضمّن حكمًا إنشائيًّا اعتباريًّا.

توجد بين الطبيعة والغايات رابطة وجوب وضرورة من النوع العينيّ والتكوينيّ والفلسفيّ الموجود بين العلّة ومعلولها، ولكنّ الإنسان يقيم هذا الوجوب العينيّ في الطبيعة بين شيئين ليس بينهما هذه الرابطة. ومن هنا يشرّع عالم الاعتبار؛ أي تنشأ هذه الوجوبات التي يخلقها الذهن، ومن الوجوب ينشأ اعتبار الحسن.

الحيوان ينجز الأفعال غريزيًّا، والإنسان ينجز أفعاله بعد أن يفكّر فيها ويريدها، وهو بذلك يحقّق غاية الطبيعة ولكن بواسطة الفكر والإرادة. فعندما تكون لنا غاية نريد بلوغها نقول: "هذه وسيلة حسنة"، فالحسن والقبح ليسا من الصفات الذاتيّة للأشياء لدى العلامة، وإنّما هما من الصفات الموصلة أو غير الموصلة بالنسبة لغاية معيّنة، فالصدق حسن لأنّه يوصل إلى الغاية الكذائيّة، فيجب أن يُقال. والكذب قبيح لأنّه لا يوصل إليها فيجب ألّا يقال. ومن هنا تمسّ الحاجة إلى الاعتباريّات.

منشأ الوجوبات

الحكمة العمليّة متعلّقة بمفهوم الحسن والقبح، وهو منتزع ممّا يجب وما لا يجب، وما يجب وما لا يجب تابعان للمحبوب والمكروه. وقد يُقال: "إنّ المحبوب والمكروه ليس واحدًا عند الجميع"، فالناس متفاوتون فيهما. وما يجب باقٍ مادام المقصد، فإذا تغيّر المقصد، تغيّر الوجوب قهرًا. ولهذا فالإدراكات الاعتباريّة تتغيّر بخلاف الإدراكات الحقيقيّة.

أجاب الشهيد مطهّري بأنّ الإنسان يحبّ الشيء الذي يفيده ويصلح حياته، فالطبيعة تنزع نحو كمالها، ولذا تدفع الإنسان بالإرادة والاختيار، وتملؤه شوقًا وميلًا وتعلّقًا به. وهكذا تزوّده بمفهوم ما يجب وما لا يجب، والحسن والقبح. ومثلما تنزع الطبيعة إلى جهة كمال الفرد ومصلحته، تنزع كذلك إلى كمال النوع ومصلحته. ولهذا تبعث الطبيعة الجميع على حبّ أشياء يتحقّق بها كمال النوع. وهذه المحبوبات متشابهة دائمة كلّيّة مطلقة، وهي معيار المحاسن والمساوئ. والعدالة والقيم الأخلاقيّة كلّها من الأمور التي تراها الطبيعة من مصالح النوع، فتثير في نفوس الجميع شوقًا إليها بالاختيار. فتحصل في النفس سلسلة ممّا يجب وممّا لا يجب بصورة أحكام إنشائيّة.

لدينا إذًا، نوعان من الوجوبات: وجوبات فرديّة جزئيّة نواجهها يوميًّا، من قبيل يجب أن أتناول هذا الطعام، وأن ألبس ذاك القميص. ووجوبات كلّيّة مشتركة بين الناس جميعًا. والمهم هنا هو الوجوبات الكلّيّة التي يعمل الناس جميعًا على أساسها عملًا واحدًا، وتكون دائميّة وكلّيّة، من قبيل: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا}[1]. ومن قبيل: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتْ}[2].

وهذه الوجوبات الكلّيّة تستمدّ جذورها من الشرف والكرامة الإنسانيّين. ومن شأنها أن تسمو بروح الإنسان إلى المقاصد العليا إذا ما سخّر لها فكره وإرادته. فعندما يقول الإنسان أنّ الفعل الفلانيّ ممّا يجب فعله، فإنّه يقصد بذلك أن يبلغ ذلك السموّ. وفي المقابل فإنّ الطبيعة المادّيّة المحدودة في الإنسان تفرض عليه وجوبات جزئيّة تصبو إلى سدّ حاجاته المحدودة كالغذاء ونحوه، لكنّها لا تعدّ أفعالًا إنسانيّة متميّزة.

ويرى العلّامة الطباطبائيّ أنّ للإنسان نوعين من الأنا؛ هما الأنا السفلى والأنا العليا. بالأنا السفلى هو نوع حيوانيّ، وبالأنا العليا هو أمر ملكوتيّ. وحين تتنازعه الدوافع الحيوانيّة والإنسانيّة يميّز هذه من تلك بعقله، ويسعى بإرادته إلى تغليب الدوافع التي ينتصر لها العقل. فعند غلبة العقل يحسّ بالنصر، وعند غلبة الشهوة يحسّ بالهزيمة، وهذا لأنّ الأنا عنده عقلانيّة وإراديّة، والجنبة الحيوانيّة عنده هي السفلى. إنّ كمالات الإنسان بحسب الأنا العليا الملكوتيّة، هي كمالات واقعيّة وليست اعتباريّة، لأنّه يرى تلك الجهة في وجوده أكمل وأقوى من غيرها. إنّ مكارم الأخلاق من الصدق والإحسان والرحمة والخير ترجع إلى الأنا العليا في الإنسان.

الغاية من الفلسفة هو التمييز بين الحقائق والاعتباريّات والوهميّات

[1] سورة **الشمس**، الآية 8.

[2] سورة **الأنبياء**، الآية 73.

ذلك أنّ الغالب على حركة الإنسان هو الاندفاع في سلوكه من معانٍ وأفكار ليس لها وجود في الخارج، وهميّة باطلة. هذا حال الإنسان في نشأة المادّة والطبيعة، من التعلّق التامّ بمعانٍ وهميّة سرابيّة.

كمال الإنسان الوجوديّ

{لَقَد خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[1]، {الَّذِي أَعطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى}[2].

بعد إتمام ذات كلّ شيء، هداه إلى كماله المختصّ به. وهو اقتضاؤه الذاتيّ لكمالاته.

-{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}[3]

بعد خلق الشيء وتسويته قدَّر سبحانه هناك تقديرًا، وذلك بتفصيل خصوصيّات وجوده: {وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلنَاهُ تَفْصِيلًا}[4]، واتّبع هذا التقدير والتفصيل بهدايته إلى الخصوصيّات التي قدّرها له، وذلك بإفاضة الاقتضاء الذاتيّ منه لجميع ما يلزمه في وجوده، ويتمّ به ذاته من كمالاته.

الردّ إلى الحياة الدنيا

بعد تماميّة خلق الإنسان سوف يردّ إلى أسفل سافلين:

{لَقَدْ خَلَقنَا الْإِنسَانَ فِي أَحسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[5].

وحكم الردّ شامل لنوع الإنسان، لا يشذّ عنه شاذّ منهم:

{اهبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[6]

{فِيهَا تَحيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}[1].

---

[1] سورة **التين**، الآية 3.

[2] سورة **طه**، الآية 50.

[3] سورة **الأعلى**، الآيتان 2 و3.

[4] سورة **الإسراء**، الآية 12.

[5] سورة **التين**، الآيتان 4 و5.

[6] سورة **البقرة**، الآية 36.

فالذي يردّ إليه الإنسان هو الحياة الدنيا، وهو أسفل السافلين.

الرفع عن الحياة الدنيا

استثناء المؤمنين الصالحين:

{إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[2]

والأجر بظاهره غير متحقّق في الدنيا بعد؛ فهم مرفوعون بعد الردّ:

{مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[3]

{وَإِن مِّنكُم إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[4]

{يَرفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ}[5]

{وَلَو شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}[6].

أسفل سافلين

{إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ}[7].

واللعب هو الفعل الذي لا غاية له إلّا الخيال، واللهو هو ما يشغلك بنفسه عن غيره.

هذه الحياة، وهي تعلّق النفس بالبدن وتوسيطه إيّاه في طريق كمالاته، شاغلة له بنفسه عن غيره؛ وذلك لأنّ ذلك يوجب أن تتوهّم الروح أنّها عين البدن لا غير، وحينئذٍ ينقطع عن غير عالم الأجسام، وينسى جميع ما كان عليه من

---

[1] سورة **الأعراف**، الآية 25.

[2] سورة **التين**، الآية 6.

[3] سورة **فاطر**، الآية 10.

[4] سورة **مريم**، الآيتان 71 و72.

[5] سورة **المجادلة**، الآية 11.

[6] سورة **الأعراف**، الآية 176.

[7] سورة **محمّد**، الآية 36.

الجمال والجلال والبهاء، والسناء والنور، والحبور والسرور، قبل نشأة البدن المادّيّة، ولا يتذكّر ما خلفه من مقامات القرب ومراتب الزلفى والرفقة للطاهرين، وفضاء الأُنس والقدس، فيتقلّب في أمد حياته للّعب، لا يستقبل شيئًا، ولا يواجهه شيءٌ من محبوب أو محذور، إلّا لغاية خياليّة وأمنيّة وهميّة، إذا بلغها لم يجد شيئًا موجودًا.

{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}[1]، والعمل ما يعمله الإنسان من شيء.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[2]. هؤلاء أعمالهم وغاياتهم كالسراب بالقاع يقصده الظمآن، فلمّا بلغه لم يجد ما قصده، ووجد ما لم يقصده، وينكشف حينها أنّ ما قصده كان غير مقصوده.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا[3]}. فإنّ الزينة هي الشيء الجميل المحبوب بنفسه وبذاته، يصحبه شيء آخر، ليكسب منه الحسن، أي يقع في القلب مع وقوع الزينة، فيجلب الرغبة فتكون هي المقصودة، والمتزيّن بها هو الواقع، فجعل ما على الأرض زينة لها ليقصدها القاصدون ويبلغوا الأرض بقصدهم، وهي غير مقصودة.

{أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}[4]. فبيّن أنّها مؤلّفة من أمور خياليّة تحتها أمور حقيقيّة، فالإنسان بعد كمال خلقته، يبدأ بتكميل جهات الحياة الدنيا بتحصيل مقصد بعد آخر، وهو يريد تكميل ما يظنّه كمالًا من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وليست إلّا أُمورًا وهميّة. فإذا تمّمها وكمّلها، بدا له بطلانها وفنائها عند موته، ووداعه للحياة الدنيا. فتبيّن بذلك أنّ الحياة الدنيا بجهاتها المقصودة، من اللعب واللهو والزينة وغير ذلك، أمر موهوم، وسراب خياليّ، وهي بعينها في الحقيقة وباطن الأمر عذاب ومغفرة ورضوان؛ يظهر ذلك بظهور أنّ جهات الحياة الدنيويّة كانت باطلة موهومة كالحطام للنبات، وهو قوله سبحانه: {وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ، وَلَقَدْ

---

[1] سورة **الفرقان**، الآية 23.

[2] سورة **النور**، الآية 39.

[3] سورة **الكهف**، الآية 7.

[4] سورة **الحديد**، الآية 20.

جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}[1].

فالآيتان كما ترى في الموت، وما ينفصل الإنسان عن حياته الدنيا، فيقول سبحانه فيها أنّ الإنسان سيقبل راجعًا إليه سبحانه فردًا كما خُلق أوّل مرّة، ويترك الأعضاء والقوى والأسباب التي كان يعتقدها لنفسه أركانًا يعتمد عليها، وأعْضَادًا يتقوّى بها، وأسبابًا يتوصّل بها ويطمئنّ إليها، وسيتقطّع ما بين الإنسان وبينها، أي الروابط التي كان الإنسان يسكن إليها ويباهي بها من اعتباراته الوهميّة، وحينئذٍ ذاك ضلال الكلّ، وزوال الجميع، وفقدانه ومشاهدته عيانًا أنّه كان مغرورًا بذلك كلّه:

- {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[2]
- {إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}[3]
- {وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[4].

والمتاع ما يتمتّع وينتفع به لغيره في الحياة الدنيا، إنّما يتوصّل به لغرور الإنسان بها ليلهو بها عن غيرها، وهي كماله الأقصى في مبدئه ومعاده. {إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ}[5].

وفي الخبر: "عباد الله، إنّ الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين، فمَن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه، وزيّنت له سيِّئ أعماله. فالجنّة غاية السابقين، والنار غاية المفرّطين.

---

[1] سورة **الأنعام**، الآيتان 93 و94.

[2] سورة **لقمان**، الآية 33.

[3] سورة **غافر**، الآية 39.

[4] سورة **الحديد**، الآية 20.

[5] سورة **يونس**، الآية 24.

وكأنّ الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء. قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلَّت عنكم العلل، واستحقّت بكم الحقائق، وصدرت بكم الأمور مصادرها. فاتّعظوا بالعبر، واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالنذر"[1].

فالمطلوب الحقيقيّ للإنسان في هذه الدنيا هو ما خلق لأجله (العبادة؛ اليقين؛ الولاية).

- {عَلَيكُم أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[2]
- {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[3]
- {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}[4].

فالإنسان لا حياة له في غير ظرف نفسه، ولا معاش له دون وعاء وجوده. فإذا نسي نفسه ووقع في غيرها، وقع في الضلال البحت والبوار، وبطلت أعمال قواه، فلا يعمل منه سمع ولا لسان ولا بصر، فهو في الظلمات ليس بخارج منها، وصار كلّ ما قصده سرابًا، وكلّ ما صنعه بائرًا هالكًا. فإذا برز إلى اليوم الحقّ، برز صفر اليد خفيف العمل، وقد زاحت عنه أباطيله، واستحقّت حقائقه، والله وليّ الأمر كلّه.

---

[1] خطب الإمام عليّ (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1412 هـ)، الجزء 2، الصفحة 51.

[2] سورة **المائدة**، الآية 105.

[3] سورة **الأنعام**، الآية 39.

[4] سورة **الزخرف**، الآيتان 37 و38.